جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

أسطورة أوديب وأزمة المجتمع في المسرح السعودي
قراءة في مسرحية (جوكاستا) لِلمْحَة عبد اللّه

إعداد
انتصار محمد السويلم

العدد الرابع والعشرون
للعام ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م
الجزء الثاني

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

أسطورة أوديب وأزمة المجتمع في المسرح السعودي
قراءة في مسرحية (جوكاستا) لِمِلْحَة عبد الله

انتصار محمد السويلم

البريد الإلكتروني: entesar.swelem@yahoo.com

الملخص

هذا البحث بعنوان (أسطورة أوديب وأزمة المجتمع في المسرح السعودي، قراءة في مسرحية جوكاستا لمِلْحة عبد الله) ، ويهدف إلى التعرف على جوهر الفارق بين أوديب سوفقليس وجوكاستا لمِلْحة عبد الله، من خلال توظيف القضية الأساسية والمحور الرئيس الذي شكلت فيه الكاتبة مِلْحة مأساتها، وقد استطاعت الكاتبة أن توظف مأساة أوديب لكن بما يتوافق مع الفكرة التي أرادت أن تبثها، والقضية الأزلية للمجتمع العربي، وهي أزمة الثقافة والأخلاق التي يعاني منها، وقد أبان البحث فوارق جوهرية بين مسرحية أوديب، ومسرحية جوكاستا، تمثلت في جوهر المأساة الذي تحول من الصراع بين الآلهة والبشر أو بين الإنسان والقدر، كما في أوديب سوفقليس، إلى صراع بين الإنسان ونفسه ومجتمعه الذي يحيا فيه، وفق العادات والتقاليد والقيم والثقافة الدينية التي تؤطر هذا المجتمع، وأدى هذا التحول إلى تبديل في بطولة المأساة بين المسرح الإغريقي والمسرح السعودي، فأصبحت جوكاستا هي محور القضية، وكانت الخطيئة التي أصابتها هي سبب حلول اللعنة على المجتمع، رغم أن المجتمع كله يرتكب مثل تلك الخطايا، إلا أنها، كعادة ثقافة المجتمع، تحمل المرأة فيه وزر هذه الخطايا مجتمعة. كما أبانت الدراسة فوارق في بنية المسرحية، حيث الزمان الممتد أو حدث الزمن المتعدد، والمكان اللامحدود في مسرحية جوكاستامقابل البناء التقليدي لعناصر مسرحية سوفقليس ووحدة المكان والزمان.

الكلمات المفتاحية : أسطورة – أوديب – سوفقليس– المسرح الســعودي – جوكاستا.

ISSN 2356-9050 الترقيم الدولي
ISSN 2636 - 316X الترقيم الدولي الإلكتروني

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

Oedipus Myth and Society Crisis in the Saudi Theatre; reading in the play of Jocasta of Melha Abdullah

Intisar Muhammad Al-Swailem

Email: entesar.swelem@yahoo.com

Abstract

This study, named (Oedipus Myth and Society Crisis in the Saudi Theatre; reading in the play of Jocasta of Melha Abdullah), aimed at defining the core difference between Oedipus Sophocles and Jocasta written by Melha Abdullah through shedding light on the basic matter and the core issue through which Melha described her misery. The author could employ the misery of Oedipus but through a method describing the idea, she wanted to prove, which is the lasting issue of the Arab community is. This issue is the problem of culture and ethics from which the Arab community suffers. The research showed core differences between the Play of Oedipus and the Play of Jocasta. These differences are briefed in the misery essence, which was shifted from conflict between Gods and humans or between human and destiny in Oedipus Sophocles to a conflict between human, himself and community in which a human lives as per the customs, traditions, values and religious culture applied in this society. This shift changed the misery nature difference from the Greek theatre and the Saudi theatre. Jocasta hence has become the centric point of the issue as the sin she made was a reason for a curse to the whole community. In spite that the whole community commits these sins, woman is blamed for all sins as per the culture of the community. The study showed also differences in the elements of the play such as the extended time setting and the unlimited place in the Play of Jocasta versus the traditional elements of the Play of Sophocles like the unity of place and time.

Keywords: **Oedipus Myth – Sophocles – Saudi Theatre – Jocasta.**

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله عليه الصلاة والسلام وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد فإن :

موضوع البحث:

يتناول البحث أسطورة أوديب وأزمة المجتمع في المسرح السعودي، من خلال قراءة في مسرحية جوكاستا لمِلْحة عبد الله ، ويهدف إلى التعرف على الفارق بين أوديب سوفقليس وجوكاستا لمِلْحة عبد الله، من خلال توظيف القضية الأساسية والمحور الرئيس الذي شكلت فيه الكاتبة مِلْحة مأساتها.

مشكلة البحث:

يعد فن المسرح من الفنون الأدبية التي ارتبطت بحياة الشعوب منذ القدم وعلى مر العصور لذلك سمي بأبي الفنون. وكما أصبح المسرح نافذة من أدوات الإبداع الفني، فإنه – كذلك– مرآة تعكس ملامح المجتمع، أي مجتمع، يبزغ فيه نجم هذا الفن، حيث تشكيل الوعي الثقافي لدى المتلقي، وبناء القيم ومعالجة القضايا والمشكلات والأزمات ومختلف الموضوعات الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية التي تشغل المجتمعات، فإذا أضيف إلى ذلك جانب الترفيه والتسلية وحفز النفوس وإيقاظ الهمم، عرفنا

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أننا أمام فن إبداعي راق، لا يضاهيه أي فن آخر في ظل تلك المقومات التي يمتلكها فن المسرح، إذا أتيحت له مساحة من الحرية والإبداع والتعبير وغير ذلك من عوامل تسهم في بلورة هذه الأنساق التي تقدم من خلاله للمجتمع.

والكاتبة ملحة عبد الله (١) رائدة المسرح السعودي، من كتاب المسرح المعاصر التي استطاعت أن تنهض بالمسرح السعودي وترتقي به خطوات واسعة، فقد حملت في طيات إبداعها جانبا كبيرا من القضايا التي تشغل بال المتلقي العربي، لا السعودي وحده، عبر تجسيد كثير من تلك القضايا والمشكلات في مسرحها، بل وتأطيرها بالطابع الأسطوري اليوناني القديم، كجزء من هذا التطور الذي يشهده المسرح السعودي، كما في مسرحية (جوكاستا) التي استلهمت فيها أسطورة أوديب للكاتب اليوناني سوفقليس، لكن برؤية مختلفة، ومأساة جديدة تحمل قضية مجتمعية يعاني منها العالم العربي، كما سنتناول بذلك بالتفصيل في هذه الدراسة.

أهمية البحث :

١. المسرح أداة من أدوات الإبداع الفني، ومرآة تعكس ملامح المجتمع، وتشكيل الوعي الثقافي لدى المتلقي .

٢. دور المسرح في معالجة القضايا والمشكلات والأزمات التي تشغل المجتمعات .

٣. الفن المسرحي فن إبداعي راق للترفيه والتسلية وحفز النفوس وإيقاظ الهمم.

٤. مسرحية جوكاستا من المسرحيات المبدعة التي حملت في طياتها قضية من القضايا الشائكة التي تشغل فئات المجتمع وطبقاتهم وتوجهاتهم، وهي قضية أزلية ممتدة عبر مراحل التاريخ المختلفة إلى وقتنا الحاضر،المرأة – دائماً – ضحية المجتمع الذي تجاسر على توجيه كل لوم لها، واختزال ما تعانيه المجتمعات من تخلف وجهل ومرض وانحطاط أخلاقي أودى بحياة أجيال كثيرة، لها وحدها .يحاول البحث أن يكشف عن كيفية تناول الكاتبة السعودية لتلك المأساة ، من خلال العنصر الدرامي التشويقي المؤطر بأحداث المأساة الأسطورية أسطورة أوديب .

منهج البحث:

يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي ؛ الذي يحلل الخطاب المسرحي تحليلاً يوضح عناصر جماله وتأثيره في النفوس ، من خلال تحليل مسرحية (جوكاستا) لملحة عبد الله – موضوع البحث– مع مراعاة كل العناصر التي تدخل في إنتاج الخطاب وتكويته ، والتركيز على خصوصية كل خطاب.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مدخل :

أسطورة أوديب، أسطورة إغريقية شكلت مادة إبداعية ثـرَّة لكتـاب المسرح على اختلاف مشاربهم عالجوا فيها كثيرا من القضايا المنبثقة من ثقافتهم وفكرهم ورؤاهم التي حاولوا تقديمها للمتلقي على منـوال المأسـاة التي قدمها الكاتب اليوناني سوفقليس، والدارس لفن المسـرح العربـي أو المصري على وجه الخصوص، يتلمس مدى الاهتمام الذي حظيت بـه تلـك الأسطورة اليونانية حيـث حاكاهـا واسـتلهم مأسـاتها أدبـاء مصـريون كُثُر،كتوفيق الحكيم (الملك أوديب)، وعلي أحمد باكثير(مأساة أوديب)، وعلي سالم في مسرحيته الساخرة (أنت اللي قتلت الوحش)، وفوزي فهمي (عودة الغائب)،وأخيرا الأديبة المسرحية السعودية د/ مِلْحَة عبد الله، في مسرحيتها (جوكاستا)

وكان لكل كاتب منهم رؤيته المختلفة للمأساة، حيث طبَّع كل واحـد منهم تلك المأساة حسب القضية التي أراد أن يعالجها من منظوره الثقـافي والاجتماعي بل والديني كذلك، وحوَّلها الكاتب علي سالم مـن مأسـاة إلـى ملْهاة، وإن كان أي من هؤلاء الكتاب لم يصل إلى إبـداع سـوفقليس فـي تجسيده لأسطورة أوديب، وتضاءلوا أمامجوهر المأساة التي أراد سوفقليس أن يضع فيها القارئ أو المشاهد لعمله، حيث الفزع والشـفقة علـى بطـل المأساة (أوديب) الذي فقأ عينيه في نهاية المسرحية وتـاه فـي غيابـات الصحراء وحيدا شريدا لا مأوى له، وهو ما يحقق وظيفة التراجيديا حيـث تطهير النفوس مما علق بها من أدران الخطيئة البشرية.

إن الأديب العربي حاول، وهو بصدد استلهام مأساة أوديب، أن يضفي شيئا من النزعة الثقافية للمجتمع العربي على جوهر المأساة، سواء للخروجمن إطار التصورات العَقَدية المخالفة التي تقوم عليها الأسطورة الإغريقية حيث تعدد الآلهة وصراعها مع الإنسان، والتي تتنافي مع ثقافة المجتمع العربي المسلم، أو إحداث وعي فكري وثقافي تجاه قضية معينة يريد الكاتب إبرازها من خلال عمله الإبداعي. فتوفيق الحكيم أول من استلهم المأساة في المسرح العربي من خلال مسرحيته (الملك أوديب)، ذكر في مقدمة عمله : "أنه حاول التوفيق بين الإسلام وأحداث هذه الأسطورة، وأن يعالجها وفق تعاليم الإسلام وروحه، فجردها «من بعض المعتقدات الخرافية التي تأباها العقلية العربية أو الإسلامية " (٢)

لكن الحكيم لم يستطع – كما يذكر الناقد محمد مندور– «أن يوفق بين هذه النزعة الإسلامية التي حرص عليها فيما يتعلق بجوهر المأساة، وبين تلك الخاتمة المخزية التي نطالعها في المشهد الأخير من مسرحيته، عندما نرى أوديب بعد أن اكتشف أن زوجته هي أمه، يحاول أن يغريها بالاستمرار في معاشرته معاشرة الأزواج حتى ولو اضطر أن يهاجر من بلدها طيبة إلى بلد آخر، وعندما ترفض أمه هذا العرض وتخنق نفسها لا يفقأ أوديب عينيه – كما فعل عند سوفكليس– تكفيرا عن الإثم الذي ارتكبه غير عامد، بل يبكي زوجته المعشوقة بالدم بدلا من الدموع! فهل هذا من الإسلام أو من أي دين أو خلق في شيء؟ فضلا عن ضياع قيمة المسرحية؛ إذ تؤدي هذه الخاتمة المخزية إلى فقد بطلها أوديب لعطف القارئ أو المشاهد وانفعاله بمأساته»(٣)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أما علي أحمد باكثير فإنه أراد في استلهامه مأساة أوديب، أن يطرحفي عمله الإبداعي عددا من القضايا المهمة، كالصراع بين الحق المتمثل في أوديب، والباطل المتمثل في الكهنة أو رجال الدين على العموم، وتحرك في رسم قضيته من خلال فكره ونزعته الإسلامية التي فرضت عليه أن يجعل في عمله المسرحي إلها واحدا فقط، وليست آلهة متعددة كما في أوديب سوفقليس.

« وإذا ما كان هناك أحد – أي أوديب – ينظر إلى هذا الإله على أنه إله ظالم أو عاجز، إلا أن هذا الشخص يكتشف في النهاية أنه مخطئ في حق الإله، وأن العيب ليس في الإله، بل في رجال دين هذا الإله، الذين يشوهون الدين ويضرونه أكثر من أن ينفعوه. فهم يستغلون جهل الناس بأمور الدين ويفرضون عليهم النذور والأوقاف ليحصل هؤلاء الرجال على هذه الأموال، وتكثر ثرواتهم، ويظل الناس يعانون من الجوع ومذلة السؤال معتقدين أنهم بذلك يرضون الإله، ويحصلون على الحسنات التي ترفع من شأنهم، بالإضافة إلى أن من يكفر ويلحد بهذا الإله، يسترد صوابه في آخر المسرحية، ويؤمن بهذا الإله بعد أن تنكشف له خدعة رجال الدين الفاسدين» (٤)

أما مِلْحة عبد الله، الكاتبة الناقدة، وإحدى رائدات المسرح السعودي، فإنها تناولت مأساتها في مسرحيتها (جوكاستا) من منطلق الأزمة الحالية التي تعاني منها مجتمعاتنا العربية، أزمة الأخلاق فالمجتمع يعاني من غياب تام للقيم التي يُفترض أنها تشكل هويتهوثقافته. والطبيعة البشرية والفطرة التي جبل عليها بنو آدم جميعا، تقتضي أنه لا إنسان بدون أخطاء، فكلإنسان

له ما له وعليه ما عليه، لكن أن تُختزل مسألة انحطاط المجتمع وغياب قيمه وما ينجم عن ذلك من آثار وخيمة تهدد المجتمع، في خطيئة المرأة، فهــذه هي الفكرة التي أرادت الكاتبة طرحهافي هذا العمل الأدبي، وسنتعرف عليها أكثر في مبحثي الدراسة.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الأول

أوديب سوفقليس و(جوكاستا) المسرح السعودي

تقدَّم في مدخل البحث الحديث عن تعدد الأعمال التي استلهمت أسطورة أوديب في المسرح العربي، وعرضنا في شيء من الإيجاز عن بعض الفوارق بين أوديب سوفقليس وأوديب المسرح العربي كما في مسرحيتي توفيق الحكيم وعلي أحمد باكثير، ولسنا في حاجة إلى استعراض جميع تلك الأعمال التي استلهمت أسطورة أوديب لنرى التباين الجوهري الواضح بين هؤلاء الكتاب في نصوصهم المسرحية التي قدموها للقارئ، والعملاق اليوناني سوفقليس، ولا يشغلنا في هذه الدراسة إلا محاولة استجلاء تلك الأسطورة كما تشكلت في المسرح السعودي لدى الكاتبة والناقدة المسرحية مِلْحة عبد الله، ومدى التأثر وجوهر الاختلاف مع أوديب سوفقليس. ولأجل الوصول إلى تلك الاختلافات علينا أولا أن نعرض لأسطورة أوديب كما تشكلت في تراجيديا سوفقليس، ثم نعقبها بملخص لمسرحية (جوكاستا) لملحة عبد الله.

فمأساة سوفقليس يتجسد فيها الصراع بين الآلهة والبشر، صراع القدر وانتصاره على الإنسان؛ ذلك أن لايوس ملك (ثيبا أو طيبة) كان قد طرد منها تحت إلحاح شعبها الرافض لحكمه، فَقَدِمَ إلى فيلونس ملك طنطالة، فأحسن فيلونس ضيافته ثم بعد حين عاد لايوس إلى ثيبا مطالبا بالملك، آخذا معه خروسفوس ابن فيلونس، وكان قد اتخذه خليلا له لما أن قام بتعليمه قيادة العربات، وكان ذلك خلافا لإرادة الآلهة، وتولى لايوس مُلك ثيبا وتزوج من امرأة تدعى يوكاستا، ولم ينجب منها أبناء، فذهب لايوس لاستشارة

وحي مدينة دِلف فأوحى إليه أبولو نبأن يمتنع من إنجاب الولد؛ لأن هذا الولد سيقتله ويتزوج أمه. لكنه خالف تلك النبوءة وأنجب، فقرر هو وزوجته معًا أن يتخلصا من هذا الابن حتى لا تتحقق إرادة الآلهة، فأوعزا إلى راعٍ من رعاة القصر بأن يتخلص من الطفل بوضعه على جبل قيثرون وشدَّا رجليه بوثاق وثقبا كعب قدميه بمسلة من حديد للتعجيل بموته، لكن هذا الراعي أشفق على الطفل المكلوم فأعطاه إلى راع كورنثي، فقدمه هذا الراعي بدوره إلى ملك كورنثوس، واسمه فولوبوس- الذي لم يكن له ولد - وزوجته ميروفا، فقررا تبني الطفل وأسمياه أوديب لانتفاخ قدميه من الوثاق الذي كان يشدهما. وشب أوديب وأثناء إحدى المآدب سخر أحد ندمائه منه وعيَّره بأنه ابن متبنًّى، فعلقت الكلمة في نفس أوديب، وقرر الذهاب إلى مدينة دِلف لاستشارة الوحي كي يكشف له حقيقة أمره، فأنبأه الوحي أن مقدر عليه أن يقتل أباه وأن يتزوج أمه، فقرر أوديب ألا يعود إلى كورنثوس عند فولوبوس وزوجته ميروفا، اعتقادا منه أنهما أبواه.

وأثناء سيره التقى موكبًا عند تقاطع طريقين، فنشب بينه وبين أفراد هذا الموكب مشادة قَتَل على إثرها أوديبُ رجالَ هذا الموكب، باستثناء شخص واحد استطاع الهرب، ثم واصل أوديب سيره حتى وصل إلى مدينة ثيبا فوجد الأهالي في فزع وهياج؛ لأن الملك لايوس قد قتل وهو في طريقه إلى مدينة دلف لاستشارة الوحي في أمر الاسفنكس، وهو وحش مجنح، رأسه رأس امرأة، وجسده جسد أسد، أرسلته الإلهة (هيرا) للانتقام من لايوس على فعلته باختطاف خروسفوس بن فيلونس، فكان هذا الوحش يجلس على صخرة خارج مدينة ثيبا ويتربص بالمارين من شباب المدينة، ويلقي عليهم لغزا عن كائن يمسي أحيانا على قدمين، وأحيانا على أربع،

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وأحيانا على ثلاث...!! ومن لم يستطع حل اللغز التهمه الوحش، غير أوديب الذي استطاع حل هذا اللغز، وإجابته بأنه الإنسان فهو حين يكون طفلا فإنه يمشي على أربع، ولما يشتد عوده يمشي على قدمين، وحين يصبح شيخا يمشي على ثلاث، قدميه وعصاه.

وعندما حل أوديب اللغز وخلص أهل مدينة ثيبا من هذا الوحش نصَّبوه ملكا وزوجه من زوجة الملك الراحل (يوكاستا) وأنجب منها أبناء أربعة، وبعد سنوات طويلة وقعت المدينة في بلاء الطاعون والمجاعة، فاستشاروا وحي أبولون في مدينة دِلف عن هذا البلاء، فأعلن لهم الوحي أن البلاء باق بالمدينة ما لم يُقتصَّ من قتلة لايوس، فاستقدم أوديب عرَّافًا أعمى يجله أهل المدينة اسمه تريسياس، ليخبرهم بمن قتل لايوس، فأخبره ترسياس بأنه – أوديب – هو الذي قتل لايوس، وبعد محادثات بينه وبين يوكاستا واستقدامه للحارس الذي فر من القتل أثناء اشتباك حراس لايوسوأوديب، عرف أوديب أنه قتل والده لايوس، وتزوج أمه يوكاستا، ولما علمت يوكاستا بالأمر انتحرت في مخدعها، وأخذ أوديب لما رآها دبوسي مشبكها اللذين يشبكان ثوبها ورداءها وفقأ عينيه بهما، وخرج تائها في الصحراء دونما معين.

أما أوديب الكاتبة السعودية مِلْحَة عبد الله فهو طفل أنجبته الخطيئة التي جمعت جوكاستا الشخصية الرئيسة في المسرحية، وتريزياسالفران/ الكاهن الذي وقع في حبها ما أنتج علاقة غير مشروعة بينهما حملت على إثرها جوكاستا بأوديب. وتقسم الكاتبة المسرحية إلى ثلاثة مشاهد زمنية مختلفة .

فتبدأ بالمشهد الأول حيث احتفالات القصر بتنصيب لايوسملكا على مدينة طيبة وعثور حراس الملك على تريزياس وهو يبكي في هذا اليوم العظيم، فاقتادوه إلى الملك الذي يستفهم عن سبب بكائه فيذكر أنها زوجته التي فرق الموت بينهما فبكى على إثر ذكراها فأعجبت الملكة جوكاستا بوفائه لزوجته حتى بعد وفاتها، فتذهب جوكاستا إلى مكان عمله الذي يقيم فيه وتعبر له عن إعجابها به، فيبادلها تريزياس الإعجاب والهيام ويظلا طيلة الليل في مناجاة واعتراف بهذا الحب حتى يقعا في الإثم وتحمل منه بولد، تسبب لها في حيرة وذبول وألم وانقطاع عن الخروج من القصر طيلة مدة الحمل وإحساس بذنب الخطيئة التي ارتكبتها، فتأثر زوجها الملك لايوس بما تعانيه زوجته اعتقادا منه أنها آلام الحمل واضطراباته، فعزم على استقدام الكهان والعرافين من مدينة دلفي ليروا له طالع هذا الطفل الذي أرقه وأرق زوجته جوكاستا، فأخبره العرافون أن هذا الولد سيقتل أباه ويتزوج أمه، فاتفق الملك وجوكاستا على أن يقتلا الولد، فدفعاه إلى إكتافيوس حارس الملكة الخاص، ومندرين أحد حراس الملك لايوس، وأمراهما أن يقتلاه بخنجر مسموم بعد أن يصعدا به إلى قمة جبل عالٍ، لكنهما صادفا مجموعة من الرعاة في طريقهما إلى تلك القمة، ولما يستطيعا أن ينفذا الخنجر المسموم في صدر الطفل حيث سمع الرعاة بكاء الطفل الذي تورمت قدماه من الحبل الذي شدهما، فيطلب إكتافيوس من أحد هؤلاء الرعاة أن يرعى الطفل، بل ويهديه إلى ملك كورنثة.

تنتقل الكاتبة إلى المشهد الثاني الذي تعرض فيه للهولة أو الوحش الذي أفزع سكان أهل المدينة وقتل من شبابها ورجالها الكثيرين، ثم مقتل لايوس حينما كان في طريقه إلى مدينة دلفي لاستطلاع سر الهولة، واحتفاء

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أهل طيبة وجوكاستا بمقدم أوديب وتخليصهم من الهولة وزواجه من جوكاستا وتنصيبه ملكا على مدينة طيبة.

ثم تنتقل الكاتبة إلى المشهد الأخير، وهو تضرع أهل طيبة وملكهم وجوكاستا وتريزياس – الذي أصبح كاهن الهيكل – للآلهة من أجل قبول قربانهم للتخلص من الوباء الذي عم أرجاء المدينة، فلم تقبل الآلهة قرابين شعب طيبة، فيطلب تريزياس من الملك أوديب بأن يأمر أهل طيبة بالاعتراف بذنوبهم من أجل الوصول إلى قاتل لايوس ورضى الآلهة عنهم ومن ثم رفع البلاء، فيأمر أوديب ببناء غرفة للاعتراف ليمر عليها كل رجل وكل امرأة من أهل طيبة يعترفون فيها لكاهن الهيكل تريزياس بأخطائهم، ويبدأ الكاهن تريزياسبا لاعتراف لكنه يلحن في قوله حتى لا يعرف أحد كنه الخطيئة التي وقع فيها، وتتوالي الاعترافات من أهل طيبة والتي أظهرت مدى تدني أخلاقياتهم، فمن سارق لمغتصب حق لحق غيره ومن ناقض لعهوده، ثم يأتي دور رجل كان حارسا للملك لايوس حينما كان في طريقه لمدينة دلفي وقتل على يد أوديب، فيعترف بأنه فر هاربا وترك قاتل الملك – أي أوديب الذي ملكته طيبة عليهم – ينعم برغد العيش والحياة..!! فيُسمع اعترافه، ويعي تريزياسما أراده الرجل ويعلم أن القاتل هو أوديب، ويصر أوديب على أن ينطلق تريزياس بالقاتل، فيتمنع فيقتله أوديب بحربته وينطق قبل الموت بأن الملك أوديب هو من قتل لايوس، وأنه كذلك ابنه، وبعد محاورات مع جوكاستا لمعرفة صفات الملك لايوس الذي قتله أوديب يقين أنه قاتل لايوس، ويصادف في هذه اللحظة وجود راعٍ كان قد أخذ أوديب في صغره وأهداه إلى ملك كورثنة، فيعترف له بأنه ليس ابن ملك كورنثةبوليت، بل

أخذه من راع آخر جاء به من طيبة فتدرك جوكاستا أن أوديب هو ابنها، فتدخل غرفة الاعتراف وتخرج وهي محمولة على يد أوديبوقد فارقت الحياة.

فهذه هي الصوة التي قدمتها الأديبة مِلْحة عبد الله، وهي بلا شك ذات اختلافات جوهرية عن أوديب سوفقليس، فيما يتعلق بجوهر المأساة، والتحول في شخصيات البطولة في المسرحية وفيما يتعلق كذلك ببنية وعناصر المسرحية ذاتها، وغير ذلك من اختلافات سنعرض لها في المبحث الثاني من هذه الدراسة.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الثاني

مأساة (جوكاستا)، الأزمة والإبداع المسرحي

بعد اطلاعنا على المستخلص من الأسطورة الأصلية المحاكاة، ومسرحية (جوكاستا) لمِلْحة عبد الله، نجد أن جوهر مسرحية سوفقليس يتركز في الصراع بين الآلهة والبشر، جلاه سوفقليس ليدلنا «على إيمان بأن للكون نظاما خاصا لا يراه الإنسان، بل إن الإنسان نفسه جزء من هذا النظام الكوني»(٥)

أي أن الإنسان أسير قانون عام رسمته الآلهة ومحاولة الخروج عن هذا القانون تقع المأساة التي يدفع الإنسان ثمنها إن عاجلا أو آجلا، لذلك كان البطل أو الشخصية الرئيسة التي تدور حولها أحداث المسرحية هو أوديب، الذي فتش في الماضي ليصل إلى أصل البلاء الذي حل بمملكته، فيكون نتاج ذلك معرفة خطيئة لايوس، ثم خطيئته التي دفع ثمنها بفقأ عينيه.

أما في مسرحية جوكاستا لملحة عبد الله فإن الصراع يدور بين الإنسان ونفسه المحملة بالشهوات وثورة التحرر من كل الأعراف والتقاليد، فتقتاده تلك النفس إلى مواطن الهلاك فالأزمة إذن في المسرحية أزمة الإنسان والمجتمع كليهما، أزمة امرأة تزوجت على غير رغبة منها في هذا الزوج (الملك لايوس)، فلم تحبه، بل وقعت أسيرة صراع عاطفي فأحبت فرَّانا لمَّا رأت من وفائه لزوجته التي فارقته بالموت، وتظل هي بعد خطيئتهما تعاني الألم والشقاء طيلة المسرحية موقنة بأنها ستدفع ثمن خطيئتها: «فلا بد أن يتحمل كلٌّ وزر خطيئته، فلا خطيئة بدون عقاب» (٦)

وهي مع إحساسها بالذنب جراء خطيئتها لم تجد عناء في مداراتها كلما سنحت الفرصة لذلك، فقد تحدثت كثيرا إلى تريزياس حول تلك النزوة التي كانت بينهما، وإحساسها بالندم والألم جراءها، وتحدثت أمام كريون أخي جوكاستا وأوديب زوجها:

تريزياس: أنت القاتل ومدنس فراش قتيلك، أنت سبب هذا البلاء..

جوكاستا: بل أنت سبب هذا البلاء، فأنت مدنس فراش مليكك..

تريزياس: ما تقولين؟ أجننت؟

جوكاستا: نعم، هذه خطيئتي التي أعاني منها أنا وأنت طوال عمري، وأردنا سويا أن نلقي بالدنس الأكبر في البحث عن قاتل لايوس، بل أنت.. فالدنس هو ما آلت إليه فعلتك...!! (٧)

فالأزمة، أزمة المجتمع كله، وأزمة المرأة، التي ركزت الكاتبة على أبعادها النفسية والاجتماعية وما تعانيه في ظل هذا المجتمع الذكوري، فتجبر على الزواج ممن لا تريده، وحينما تقودها ثورتها لتحب – بل قل تخطئ – فالويل لها، ويعم البلاء أرجاء المجتمع من فعلتها، لذلك كانت اختلاف الخطيئة التي شكلت المأساة في مسرحية ملحة عبد الله مرتبطة بالمرأة، لا بالرجل كما في أوديب سوفقليس، والبطولة والشخصية التي دارت حولها المأساة هي شخصية جوكاستا لا شخصية أوديب كما تجسدت في عمل سوفقليس، واستطاعت الكاتبة – كما في أوديب سوفقليس– أن تستجلب عطف القارئ أو المشاهد وشفقته تجاه جوكاستا، مثلما تحققت في مسرحية سوفقليس، وإن كانت لم تطهر ما أصابها من دنس الخطيئة بنفسها، بل بواسطة كهنة غرفة الاعتراف.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والمسرحية كذلك أزمة رجل، رغم الجرم الذي وقع فيه، إلا أنه اعتبرها نزوة لا تستحق اللوم أو الاعتذار أو العقاب حتى، أو الإحساس بخديعته التي أوهمت الطرف الآخر –جوكاستا– بأنها ملهمته..!!

جوكاستا: وبم تفسر حبك لي؟

تريزياس: كان نزوة جسد، اشتاق للنعاس في قلب امرأة حتى يتطهر ويتفرغ للكهانة..!!

جوكاستا: وتلك النظرات التي رمقتني بها في الحفلات؟

تريزياس: هل نسيت مولاتي أني ضعيف البصر؟

جوكاستا: كانت أيام البحث عنك بمثابة الحيا بالنسبة لي.

تريزياس: مولاتي، جاء الوقت لكي ننسى تلك الترهات ويكتفي كل منا بدوره..!!(٨)

وكلما واجهته جوكاستا بخطيئته وحثه على الاعتراف بها، تملَّص ببليغ الكلام وحسن التخلص من المواقف المتأزمة:

جوكاستا: لكن جريمتك أنت أكبر من مقتل لايوس أو عدم القصاص من قاتله، أتنكر؟

تريزياس: فلنؤجل هذا الحديث لغرفة الاعتراف يا جوكاستا، فما أحوجنا أنا وأنت أن نجد البديل الذي يحمل خطايانا على الأقل أمام العامة"(٩)

وعندما تأتي لحظة الاعتراف نجده يقول:

«إنلساني يعجز عن ذكر خطيئتي، فإن كنت أنا المخطئ الوحيد فليقع علي ما أستحقه من عقاب» (١٠)

هكذا هو الرجل، في مجتمعاتنا، يسمو فوق النقد، وفوق العقاب، وتتحمل المرأة ثمن كل شيء، حتى لو كان ذلك الرجل هو الكاهن، لذلك فإن الكاتبة ملحة عبد الله عمدت إلى توسيع رقعة البعد النفسي والديني والاجتماعي للرجل مسرحيتها، فالرجل العادي ربما تُقبل خطيئته في ظل جهله بالعادات والتقاليد أو الشرع الذي يدين به، أو لغلبة شهوته عليه ونفسه الأمارة بالسوء، وذلك واضح في اعترافات الرجال، فمنهم من سرق، ومن اغتصب حق غيره، ومن نقض الميثاق ومن تملص من مسؤولياته... إلخ، .

لكن رجل الدين، الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، والحاث على التزام الفضيلة والأخلاق، واجتناب كل ما يمكن أن يشين المرء ودينه وكرامته، وكذلك رجل المجتمع صاحب الجلالة والمهابة والمكانة والموقع المرموق بين أفراد بيئته التي يحيا فيها..!! وهو بالطبع بشري له سوءاته وأخطاؤه، لكن حينما تكون تلك الخطايا من صغائر الذنوب فهذا مقبول، ويلائم طبيعته البشرية، أما أن تكون خطاياه من كبائر الذنوب، ثم يخالطه الكِبر والإنكار، فهو ما لا يمكن قبوله، وهذه هي أزمة الرجل في مسرحية (جوكاستا) لملحة عبد الله.

أما فيما يتعلق بالبناء الفني للمسرحية، فأوديب سوفقليس ما يميز عمله وحدة الزمان ووحدة المكان، فأحداث المسرحية اختزلها في موقف واحد آني، بدأ من فزع أهل ثيبا أو طيبة من الطاعون الذي دمر المدينة، ومحاولاتهم التعرف على سبب هذا البلاء من الوحي، وتبدأ الأحداث في استحضار الماضي لاستجلاء الحاضر، ثم إن هذه الأحداث تدور في مكان

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

واحد، وهو القصر الذي يحكم منه الملك أوديب شعب ثيبا، فتحققت بذلك وحدة المكان ووحدة الزمان، كما البناء التقليدي لهذا اللون من الأدب.

أما في مسرحية جوكاستا لمِلْحة عبد الله فإن الكاتبة خرجت عن البناء التقليدي لعنصري الزمان والمكان في مسرحيتها، فلم تعتمد في بنائها الفني لعملها الإبداعي على وحدة الزمان، بل اعتمدت على الزمن الذي يرسمه الحدث المتخيل والمعروض على خشبة المسرح أو الذي يتمثل في ذهن القارئ للمسرحية، لذلك قسمت مسرحيتها إلى ثلاثة مشاهد يتخللها أحداث جانبية كثيرة وامتد بها الزمن في المسرحية إلى أعوام كثيرة، بدأت من الخطيئة التي وقعت فيها جوكاستا مع تريزياس، ثم حَمْلها في أوديب تسعة أشهر، ثم حياة أوديب في كورنثة أكثر من عشرين عاما، ثم حياته في طيبة ملكا على المدينة. وكذلك الأمر في المكان، الذي لم تعمد المبدعةإلى استخدام وحدة المكان كإطار واحد يشكل الموقع الذي تدور فيه أحداث المسرحية، بل كذلك اعتمدت على مكان الحدث، حيث تعدد الأماكن التي وقعت فيها أحداث المسرحية، حسب إشارات الكاتبة في بداية كل مشهد إلى موقع المكان وما يتصل به من ديكورات ومؤثرات سمعية وبصرية عديدة، كالفرن والقصر وحجرة الملك وطريق الجبل وغير ذلك من أماكن استطاعت الكاتبة التدليل عليه بعلامات تدركها الحواس وتنتمي إلى نظم مختلفة من عناصر الديكور المسرحي.

خاتمة:

إن مسرحية جوكاستا من المسرحيات المبدعة التي حملت في طياتها قضية من القضايا الشائكة التي تشغل فئات المجتمع وطبقاتهم وتوجهاتهم، وهي قضية أزلية ممتدة عبر مراحل التاريخ المختلفة إلى وقتنا الحاضر، فالمرأة ضحية المجتمع الذي تجاسر على توجيه كل لوم لها، واختزال ما تعانيه المجتمعات من تخلف وجهل ومرض وانحطاط أخلاقي أودى بحياة أجيال كثيرة، لها وحدها، وقد استطاعت الكاتبة السعودية أن تجسد تلك المأساة بحنكة الخبير المجرب الذي عاصر وعايش مثل تلك الأزمة، وبنظر ثاقب استطاعت كذلك أن تمزج العنصر الدرامي التشويقي المؤطر بأحداث المأساة الأسطورية، أسطورة أوديب، بجوهر الحدث والأزمة التي تعرض لها، فكانت المسرحية من بديع ما قدمته رائدة المسرح السعودي، ملحة عبد الله.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الهوامش :

(١) مِلْحة عبد الله، أديبة وناقدة وباحثة سعودية، من مواليد مدينة أبها بجنوب المملكة العربية السعودية، تخرجت في أكاديمية الفنون بمصر، وحصلت على درجتي الماجستير والدكتوراة من جامعة بركلي بالولايات المتحدة الأمريكية، واستقر بها المقام في مصر حيث توهج قلمها الإبداعي، فأنتجت الكثير من الأعمال المسرحية والنقدية ولقبت بسيدة المسرح السعودي، وعميدة المسرح السعودي، ونالت الدكتوراة الفخرية مرتين من الأمم المتحدة، الأولى عن نظريتها في البعد الخامس، والثانية لخدمتها السلام العالمي. انظر: آية حسن: ملحة عبد الله.. عميدة المسرح السعودي، (ن بوست)٢/ ١٢/ ٢٠١٩

(٢) توفيق الحكيم: الملك أوديب، مكتبة مصر، القاهرة، د. ت، ص٥٢.

(٣) محمد مندور: فن المسرح، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٨م، ص١٦١.

(٤) معتز سلامة أحمد عبد الله، التوظيف الإسلامي للأسطورة في مسرحية مأساة أوديب لعلي أحمد باكثير، مجلة الأدب الإسلامي، مج ٢٥، ع٩٧، ٢٠١٨م، ص٧.

(٥) عز الدين إسماعيل: قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر، دراسة مقارنة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٧٣.

(٦) جوكاستا، ملحة عبد الله (مسرحية ضمن مؤلفات ملحة عبد الله)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م،٢/ ٣١.

(٧) المصدر السابق ، ٢/ ٩٠.

(٨) المصدر نفسه ، ٢/ ٥٤، ٥٥.

(٩) نفسه ،٢/ ٨١.

(١٠) نفسه ،٢/ ٨٥

المصادر والمراجع:

(١) آية حسن: ملحة عبد الله.. عميدة المسرح السعودي، (ن بوست)٢/ ١٢/ ٢٠١٩

(٢) توفيق الحكيم: الملك أوديب، مكتبة مصر، القاهرة، د. ت.

(٣) سوفقليس، تراجيديات سوفقليس، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ١٩٩٦م.

(٤) عز الدين إسماعيل: قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر، دراسة مقارنة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٠م.

(٥) محمد مندور: فن المسرح، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٨م

(٦) معتز سلامة أحمد عبد الله: التوظيف الإسلامي للأسطورة في مسرحية مأساة أوديب لعلي أحمد باكثير، مجلة الأدب الإسلامي، مج ٢٥، ع٩٧، ٢٠١٨م.

(٧) ملحة عبد الله ، جوكاستا: (مسرحية ضمن:مؤلفات د/ ملحة عبد الله)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	الصفحة
١.	ملخص	١٩١١
٢.	Abstract	١٩١٢
٣.	مقدمة	١٩١٣
٤.	مدخل	١٩١٦
٥.	المبحث الأول : أوديب سوفقليس و(جوكاستا) المسرح السعودي	١٩٢٠
٦.	المبحث الثاني : مأساة (جوكاستا)، الأزمة والإبداع المسرحي	١٩٢٦
٧.	خاتمة	١٩٣١
٨.	الهوامش	١٩٣٢
٩.	المصادر والمراجع:	١٩٣٣
١٠.	فهرس الموضوعات	١٩٣٤

تم بحمد الله